

أئمة أهل البيت - ع - تحت الحصار

يشغل مفهوم الإمامة حيزاً واسعاً في الفكر الإمامي الإثنا عشري ، إذ أنه لا يحصر الإمامة في بعدها الق يادي على الجانب السياسي فحسب ، بل يتخطى ذلك إلى مديات واسعة وكبيرة كـ (القيادة الدينية ، والتة ذيب الأخلاقي) لذا تدخل الإمامة في جميع مفاصل الحياة الإنسانية بأبعادها المختلفة، إذ أنها تشكل منهج حياة للإنسان في سيره . وإذا ما أردنا أن نصف شؤونها بالشكل الدقيق فخير ما نورد هكلام الإمام علي بن موسى الرضا - ع - في بيان مفهوم الإمامة و مواصفات الإمام ، إذ أنه قال - ع - بشأن الإمامة أنها :

" منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء . إن الإمامة خلافة الله ، وخلافة الرسول - ص - ، ومقام أمير المؤمنين ن - ع - ، وميراث الحسن والحسين - ع - . إن الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين . إن الإمامة أسس الإسلام النامي ، وفرعه السامي ، بالإمام تماماً للصلاة والزكاة والصيام و الحج والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف " .

بعد هذه النظرة الخاطفة والسريعة على مفهوم الإمامة في الفكر الشيعي، لو نظرنا إلى الجري التاريخ ي ورقبنا الأحداث المتتابة منرجالات الأعصار الماضية وكيفية التعامل مع الأئمة - ع - لو جدنا أنه هن الك عامل مشترك يتكرر في كل حقبة زمنية ، يتمثل في ضربالحصار على أئمة أهل البيت - ع - وجعلهم في عزلة موقعية أو اجتماعية أو معرفية أيضاً . ولعل البذور الأولى كانت وليدة تلك الرزية التي حـي ل دون رسول الله - ص - وكتابة الكتاب الذي يحفظ الأمة من ضلالتها ، حينها بدأت تلكالعزلة تنقلب وتت شكل مع مقتضيات الزمان والمكان ، درأً لوجود أي خطر محتمل التهديد على المكانة المرموقة التي هي م طلب غائي لأهلها .

وعليه نستطيع أن نفسر جملة الأحداث الصادرة على هذا الضوء ، من قبيل المنع الذي طال تدوين أحاديث ا لنبي الأكرم - ص - مما أوجد شرخاً معرفياً كبيراً ، وفسح المجال وعبّد الطريق إلى تكثّر الوضاعين و التفنن في بث الدسائس والأكاذيب ، وهذا بدوره ضرب الركائز المعرفية والقيمية للأجيال اللاحقة على المد ي البعيد وخلق حالة من الضبابية والإبهام ، كما أنه عمد على حصر جيل - ذاك الزمان - في بوتقة ضيقة لا يستطيعون أن يتحرروا من تلك الشرنقة التي ضربت بأطنابها عليهم . شيئاً فشيئاً بدأت تنمو بواعت ذل ك الإنحراف من خلال الممارسات التي تصدر بشأن أهل البيت - ع - ابتداءً من أمير المؤمنين - ع - التي أخ ذت المنابر على عاتقها بالترويج لشتمه ، قرية الله تعالى ! هكذا أخذ الدور الإعلامي مساحته الواسعة و

نشاطه المتحرر من كل القيود الأخلاقية ، إلى الحد الذي حينما وصل نبأ استشهاده - ع - إلى مسامع أهل الشام ، تعجبوا أن علياً - ع - قتل في محرابه ، أو كان يصلي هذا هو الحصار المقيت الذي أستخدم كأداة مضادة في عزل أهل البيت عليهم السلام . وعليه يتضح لنا جلياً أن الممارسات الصادرة من قبلهم -ع- في إبراز مفهوم الإمامة أو بيان مواصفات الإمام ، هي إعادة نظم لهيكل المفاهيم المعرفية في أذهان الأمة وتصحيحها ، لذا نربأن مثل تلك الممارسات كانت تخلق جبا برة الأعصار والأمصار ليس في حينها وحسب بل حتى على المديات البعيدة .

كما أنه في العصر الراهن بدأ يأخذ ذلك الحصار منحى آخر ، يتمثل في تجويف وإفراغ المحتويات الدينية من مضامينها الحقيقية، ووسمها بحالة من التمييع القيمي والانفلات الأخلاقي و الفوضى المعرفية تحت عناوين التجديد والمواكبة ونبذ القديم والتراث المطبق والجامع على كيان هذه المجتمعات بحمله الثقيل ! فالبصير من تبصر ، وأجهد نفسه في إرجاع المتشابهه إلى محكمه ، لئلا يكون عرضة لمهب الرياح العاصفة التي تردى صاحبها ! وأن لا نكون جزء من أوتاد ذلك الحصار الذي ضرب بأطنابه على أئمة الأهدى - ع - !

ومن هنا تنكشف مكنونات أقوالهم - عليهم السلام - ، فعن عبدالسلام بن صالح الهروي قال: سمعتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا »، فقلت له: كيف يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قال: « يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا » هكذا يفك الحصار الذي من شأنه أن يستقطب أصحاب الفطرة السوية إلى ساحة الطاهرة والصفاء .